۱۶۶۱۱

مجله	الازهر
تاریخ نشر	رمضان ۱۳۹۹
شماره	۷ سال ۵۱
شماره مسلسل	
محل نشر	مصر
زبان	عربی
نویسنده	عبدالحمید الغصالی
تعداد صفحات	۱۷۵۷-۱۷۲۴
موضوع	الصیام فی القرآن
سرفصلها	
کیفیت	
ملاحظات	

الصيام في القرآن

الاستاذ عبد الحميد الفضالي

انها كلمة تدور حول الصيام ، كعبادة لها وزنها وخطرها بين سائر العبادات .. وفيها اشارة خفيفة لبعض آثار العبادات في سلوك المكلفين بأدائها ، في حياتهم ، وعاقبة أمرهم ، بعد مماتهم .. كما أن بها القاء بعض الأضواء على أن القيام بالواجبات ، في أداء العبادات ، واجتناب المنهيات ، وطاعة الله — انما هو لمصلحة الخلق ، لا لمصلحة الخالق ... سبحانه ..

وقد يكون في هذا الذي ذكرت .. وفي غيره مما سأذكره — استحضار لقلوب بعض القارئين لموضوع « الصيام في القرآن » — قبل أن أتحدث لهم عما جاء في آيات الكتاب الكريم ، عن الصيام بخاصة .. وعن بعض ما ترشد اليه هذه الآيات وتدل عليه ، مما قد تشتد حاجة القارىء اليه ، وتزيد به فائدته ، أو افادته — في ايجاز يحتمله المقام ، بقدر المستطاع ، وبمشيئة الله .

***

ان الصيام عبادة شرعها الله للمؤمنين من أمة محمد — صلوات الله وسلامه عليه — كما شرعها الله للمؤمنين من قبلهم .. وقد نصت على ذلك آية في كتاب الله .

وكان الصيام في الاسلام ركنا من أركانه الخمسة التي يقوم عليها بناؤه ، ويتم رواؤه ، وتتلألأ أضواؤه ، فتستنير بها ظلمات الحياة ، وتتضح معالم الطريق الى الله ، الحق الذي جاء من عند الله .. فيهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات

الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم .. صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض . ألا الى الله تصير الامور .

هذه الأركان التى قام عليها بناء الاسلام ، هى ما نص عليه الحديث الشريف :

« بنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله .. واقام الصلاة .. وايتاء الزكاة .. وصوم رمضان .. وحج البيت من استطاع اليه سبيلا .. » . وانه لبناء شامخ لا يطاوله بناء ، فى كماله وتمامه ، وفى نقائه وصفائه ، وفى رسوخه وبقائه .. حتى يرث الله الارض ومن عليها ..

وحسبك أنك ترى فيه التوحيد الخالص الذى لا يخالطه شرك . والعبادات الشاملة الصادقة التى لا يعتريها قصور ، ولا يشوبها كذب .. والمعاملة الأمينة الكريمة التى لا يدنسها لؤم ، ولا يشوه جمالها غرض ، أو يقبح صورتها نفاق .

وانه لكنز ثمين وتراث عظيم ، حرص عليه المسلمون الأوائل ، وفهموه حق الفهم ، وطبقوه خير تطبيق ، على ضوء ما بينه وجلاه — كتاب الله ، وهدى رسول الله ، فكتب الله لهم السيادة والعزة والخير العميم فى جنبات الحياة .. وكانوا بحق خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، وتؤمن بالله .

***

والصيام يقصد به ، كما يقصد بسائر العبادات — تربية المسلم ، وتهذيب نفسه ، واصلاح شأنه ، واصحاح بدنه ، واضاءة شأنه ، وتطهير لسانه ، وترقيق مشاعره ، والارتفاع بها عن الدنايا ، والارتقاء بها الى السمو ومكارم الأخلاق .. فيبذل المسلم — عن طيب خاطر — من خير الله ، على من حوله من عباد الله ، ويكف أذاه عمن سواه ، وعما سواه .. من كل ما يحيط به ، من الناس ، والدواب ، والأنعام ، والطير ، والشجر والزروع .. وفى كل ما ينبغى صيانته ورعايته .. وفى

كل أمانة توكل اليه ، أو عمل يسند اليه .. فيكون أداؤه له متقنا ، لا خلل فيه ولا نقص ، بقدر ما يتسع له الجهد .. فان الله يحب اذا عمل أحدنا عملا أن يتقنه .. كما ورد فى حديث شريف لرسول الله ..

وبهذا لا تجد فى المجتمع الاسلامى الصادق — قويا تطغيه قوته .. أو غنيا يفسده غناه .. أو محتاجا يريق ماء وجهه بالسؤال ، أو يمد الى الناس يده ، أو فقيرا يحقد على من حوله من الأغنياء ..

فالجميع فى مجتمع الاسلام الصحيح — أسرة واحدة ، متعاونة ، متكافلة .. مجتمع يؤمن بالله وباليوم الآخر وبالثواب والعقاب ، وبالجنة والنار — ايمانا لا يزعزعه شك ، فلا تغره حياة الدنيا ، ولا يظلم الناس شيئا ، ولا ينسى الموت أبدا ، فقد يجيئه بغتة ، وهو على أتم ما يكون صحة وشبابا ، فلا يصده عنه مال وثراء ، أو جاه وسلطان ، فكل ذلك عارية مستردة ، لا دوام لها ولا أمان .. ولذا يقول الله : « وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » . فنحن مستخلفون فى هذه الأموال ، فهى فى أيدينا اليوم ، وغدا فى يد غيرنا .. وليس للانسان من ماله الا ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو تصدق فأبقى ، كما يقول سيدنا رسول الله ..

فالحياة فى الدنيا أيام معدودة ، وساعات محدودة ، عند انقضائها تلف أعمال الانسان ويطوى سجله ، ويحال بينه وبين هذه الدار ، ويؤخذ به الى دار القرار .. فاما دار انس وبهجة ، واما دار شقاء ووحشة .. انه قد وضع فى صحراء مقفرة لا أنيس بها ولا جليس ، بل يتركه الناس وحده ، حتى أقرب الناس اليه ، وأحبهم لديه . يتركونه وقد أظلم عليه الليل ودنت منه الوحوش ، واختلط بلحمه الديدان ..

فمن يا ترى ينجيه من بأس الله ، ويؤنسه فى دار غربته ، ويخفف من كربته ؟!

اللهم لا شىء الا عمل صالح قدمه فى دنياه ، فهو أنيسه فى قبره وأخراه ..

ولذا يقول الله : « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره » .

ويخوفنا رسول الله عاقبة أمرنا فى دنيانا وآخرتنا ، فيقول : « البر لا يبلى ، والذنب لا ينسى ، والديان لا يموت ، اعمل ما شئت كما تدين تدان » .. ويقول الشاعر العربى الزاهد :

صاح شمر ولا تزل ذاكر المو
ت فنسيانه ضلال مبين ! !

ليس لله فى عبادته مصلحة :

وأحب أن يكون مفهوما ان الله سبحانه وتعالى — ليست له مصلحة فى حمل الناس على الصيام ، ولا على غيره من سائر العبادات والتشريعات التى شرعها لخلقه .. لأنه سبحانه وتعالى لا تنفعه طاعة من اطاعه ، ولا تضره معصية من عصاه . .وانما الخير كله يعود على عباده الذين خلقهم ، وهو أعلم بهم ، « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ، فهو سبحانه ، فى أوامره ونواهيه ، وتشريعاته للناس ، وتكليفهم بعبادته على ضوئها ، ودعوتهم الى الالتزام بها ، فى أعمالهم ومعاملاتهم وسلوكهم — انما يضع لهم صمامات أمن لهم ، تقيهم ما يضرهم ولا ينفعهم ، وتجعلهم صالحين لخلافته فى الأرض ، يقيمون الحق والعدل ، وينشرون الخير ، ويحاربون الشر فى نفوسهم ، ومجتمعاتهم ، فى كل زمان ومكان ، ما وسعهم ذلك . حتى يرث الله الأرض ومن عليها ..

ان الخير كله فى طاعة الله فيما ارتضاه .. والشر كله فى عصيانه فيما شرع صياما ، أو غير صيام .. وان ذلك الخير وذلك الشر — من المؤكد أنه يصيبنا فى عاجلنا وآجلنا ، فى حياتنا وبعد مماتنا . أليس الله سبحانه وتعالى يقول : « من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن ، فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون» . ويقول: «سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأملى لهم ان كيدى متين » .

ولن يخلف الله وعده . قال

تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا .. » . فالعمل الصالح ينفعنا فى حياتنا ، وينفعنا بعد موتنا .. بل ينفع ذريتنا من بعدنا .. قال تعالى : «وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة وكان تحته كنز لهما ، وكان أبوهما صالحا ، فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك » .

ولذا ، فان الله سبحانه وهو العليم الخبير — حرصا علينا ، ورأفة بنا — يرغبنا دائما فى طاعته ، وتنفيذ أوامره ، واجتناب نواهيه ، والتزام شريعته ، فى كل آية يكون فيها أمر ، أو نهى ، أو تشريع ، أو استجابة لما تدعو اليه . لأن ذلك يحقق لنا الخير والسعادة ، والفلاح ، والتقوى التى هى القوة والعصمة والأمن والوقاية من كل سوء ..

ولذلك نجد فى ختام تلك الآيات — الروائع من هذه العبارات :

« لعلكم تتقون » .

« لعلهم يتقون » .

« لعلكم تشكرون » .

« لعلكم تفلحون » ..

« وذلك هو الفوز العظيم » .

« ان الله كان عليما حكيما » .

« والله عليم حليم » .

« والله بكل شىء عليم » .

« ان الله كان بكم رحيما » .

« ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

« لعلكم ترحمون » .

« وما ربك بظلام للعبيد » .

« فأولئك هم الفائزون » .

« ان الله عنده أجر عظيم » .. الخ .

كما يبين سبحانه وتعالى أنه لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون .. فيخوفنا عاقبة

ظلمنا لأنفسنا ، بمخالفتنا لشرعه ، وعصياننا لأمره ونهيه ، وسيرنا وفق أهوائنا ، واستعباد شهواتنا لنا .. ولذلك نراه سبحانه ينذر العاصين بقوله : « ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين » .

ويقول فى ختام آيات المخالفة والعصيان :

« نصله جهنم وساءت مصيرا » .

« وله عذاب مقيم » .

« وله عذاب أليم » .

« انه لا يفلح الظالمون » .

« أولئك هم الخاسرون » .

« انه لا يحب المعتدين » .

« فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » .

« ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس بظلام للعبيد » .

« واتقوا الله ان الله شديد العقاب » .

الصيام أبعد العبادات عن نفاق الخلق :

ان الصوم هو العبادة الوحيدة التى لا يمكن أن يتقرب بها عبد لعبد .. وانما يتقرب بها الى الله وحده لا شريك له .. فهى عبادة خالصة له من دون الناس .. عبادة لا ترضى مطامع الطامعين من البشر ، ولا تشبع شهوات ذوى الشهوات الدنيا من بنى الانسان .

أما غير الصيام من العبادات .. فقد تستخدم فى غير ما خلقت له . فى مجالات النفاق .. وفى تحقيق مآرب دنيوية .. لا تجلب نفعا ، ولا تطيل عمرا ، ولا تنجى من عذاب الله .. « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم » . « يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » .

فالزكاة مثلا ، وهى شرعا اخراج المال لله وفى سبيل الله ، ابتغاء مرضاته — قد يخرجها انسان ، اكتسابا لشهرة ، أو طلبا لحماية ، أو حصولا على مغنم ، أو وصولا

الى منصب .. أو ابتغاء لثنـــاء الناس عليه .. وفى كل ذلك لا ثواب له فيها ، وانما يلقى بها فى النار ، لأنه قصد بها وجه الشيطان، ولم يقصد بها وجه الله .

ومن ذلك الضـــلال المبين ــ ما يخرجه أصحاب الأموال مـــن أموالهـــم ، تقـــربا لعظيم .. أو اعلانا لولائه لرئيس أو مـــلك ــ انتظارا لوسام يحصل عليه ، أو وزارة تسند اليه .

ولكننا لم نر أحدا من النـــاس يصوم لأحد من الناس .

وذلك بمفهوم قول الله تبارك وتعالى فى الحديث القدسى : « كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به » .

والصلاة ، وهى الصلة بين العباد وربهم ــ المفروض لقبـــولها أن تكون خالصة لله وحده ، خشـــوعا وخضوعا ، واحناء جباه ، وركوعا وسجودا ، ودعاء وتسبيحـــا ، وتكبيرا واستغفارا ، واستغـــراقا مع الله ، لا يشغل المصلى ســـواه ، ولا يبعده عن الحق هواه .

ولكننا نرى بين النـــاس الذين يحنون جباههـــم وهاماتهم فى الصلاة ــ من يحنى هامته لغير الله من عباد الله الذين لا يملكون لهم نفعا ولاضرا ، ولاموتا ولا حياة ، نفاقا لهم أو خوفا منهم ، أو طمعا فى دنيا يصيبها من ورائهم .. وكثيرا ما نراه يركع لهم ، ويسجد فى لقائهم واستقبالهم .. ويلقى على مسامعهم من الكلمات ما لا ينبغى أن يقال الا لله .. كأن يقـــول لأحدهم : أنا عبـــدك .. أو أنت القاهـــر لغيـــرك .. أو أنت المعز المذل .. أو القادر على كل شىء فأنت الذى أغنيتنى بعد فقـــر ، وشفيتنى بعد مـــرض ، وأحييتنى بعد موت .. مع أن الذى يملك ذلك كله ، وفوق ذلك كله ــ هو الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا أحد .

وكذلك الأمر فى عبادة الحج .. فكثيرا ما يكون الهدف منه ، أو الدافع اليه ــ المباهاة والافتخار .. أو المناداة بلقب (الحاج) .. أو

استغلال هذا اللقب فى أن يكتب قبل كتابة اسمه ، فى بطاقته وعلى لافتته فيخدع الناس بحجه.. وما أكثر ضحاياه من المتعاملين معه . فهل يتقبل الله حج هؤلاء وأمثالهم ؟ ! !

***

الصيام نشاط وعمل وتوبة ومجاهدة :

ان الصيام ليس نوما وكسلا ، ولا راحة واسترخاء ، وليس اجازة يستريح فيها الصائمون — (سواء أكان الصيام فريضة ، أم واجبا فى أداء كفارة ، أو تطوعا ونافلة ..) — وانما هو عبادة ورياضة ، ومجاهدة ، وعمل وانتاج ، وتدريب سليم محكم ، للامتناع (عما أحل الله) ، من الطعام والشراب والنساء ، ليكون بعد فترة ، تطول أو تقصر ، مؤهلا للامتناع (عما حرم الله) طوال العام — من باب أولى .. فتقوى به ارادة المؤمن ، ويتحرر من عبوديته لأهوائه ونزعاته ، وللشيطان الرجيم — وقانا الله شره ، وشر نفوسنا . اللهم آمين .

ان المؤمن الذى يروض نفسه على الابتعاد عما أحل الله أثناء صومه ، وتحقق له النجاح فى رياضتها وفطامها — انما يرتقى بها الى أعلى درجات الامتثال لأمر الله واجتناب ما حرم الله .. فيعيش فى أمن وأمان ، ما دام على قيد الحياة .

وان الذين يسهرون ليلهم فى عبث ولهو ، ثم ينامون نهارهم ، وهم قادرون على العمل والانتاج — لا ثواب لهم من صيامهم .. فالرسول وهو الاسوة الحسنة ، وكذلك الراشدون من صحابته .. كانوا رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار .. فقد غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم — غزوة بدر الكبرى فى رمضان .. وفتح مكة كذلك فى شهر رمضان . وانتصارنا فى (حطين) كان فى رمضان .. وانتصارنا على اسرائيل كان فى رمضان .

هذا ...

وان كلمة الصيام يراد بها فى اللغة مطلق الامساك .

فالممسك عن الطعام صائم ، وعن الماء صائم ، وعن الكلام صائم ، وعن الكتابة صائم ، وعن القراءة صائم ، وعن النكاح صائم ..

وجاء فى القرآن الكريم : « انى نذرت للرحمن صوما » .

قال ابن عباس : أى صمتا .. فالصمت صيام ، لأنه امساك عن الكلام ..

ومن طريف ماقرأت أن (رمضان) اسم من أسماء الله تعالى ذكره.. ومن هنا لا يجوز أن يقال رمضان مجردة ، اذا اريد بها الدلالة على الشهر ، وانما يقال : شهر رمضان، أى شهر الله ..

جاء ذلك فى كتاب : « مروج الذهب للمسعودى » .

ولست أدرى من أين جاء بهذا الكلام ؟!

أما الصيام شرعا .. فهو امساك مخصوص ، كما جاء فى كتب اللغة .

وأوضح ذلك الفقهاء فقالوا : انه امساك عن الطعام والشراب والرغبات الجنسية .. من طلوع الفجر الى غروب الشمس .

***

ثم أعود ...

ثم أعود الى عنوان المقال : « الصيام فى القرآن) فأقول :

ان الصيام ورد ذكره فى القرآن الكريم فى ستسور فقط من سوره البالغ عددها (مائة وأربع عشرة سورة) .

وهذه السور الست هى : سورة البقرة ، وسورة النساء ، وسورة المائدة ، وسورة مريم ، وسورة الأحزاب ، وسورة المجادلة .

أما الآيات التى ورد فيها لفظ الصيام أو ما اشتق منه .. فعددها احدى عشرة آية فقط ، من آيات القرآن الكريم ..وعددها (ست وثلاثون ومائتان وستة آلاف آية) .

وهذه الآيات الاحدى عشرة موزعة كالآتى :

خمس آيات فى سورة البقرة . وأرقامها : (١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ثم ١٨٧ ، ١٩٦) .

وآية واحدة فى سورة النساء هى الآية (رقم ٩٢) .

وآيتان فى سورة المائدة ، هما الآيتان : (رقم ٧٩ ، ٩٥) .

وآية واحدة فى سورة مريم ، هى الآية : (رقم ٢٦) .

وآية واحدة فى سورة الأحزاب ، هى الآية : (رقم ٣٥) .

وآية واحدة فى سورة المجادلة ، هى الآية : (رقم ٤) .

***

وأرى من الخير تدوين هذه الآيات ، بنصوصها ، كما وردت فى كتاب الله — تيسيرا على القارىء ، فى متابعة المعانى وتفهمها ، وتحقيقا للفائدة المرجوة ، بقدر المستطاع ، فى سهولة ويسر .

أما من ناحيتى فسأحاول بتوفيق الله — تفهم الآيات بوجه عام ، وفقه ما تدل عليه وترشد اليه .. وعرض ما تشتد الحاجة اليه ، ويسهل تقبله ، رجاء الاهتداء به ، والافادة منه . وعملا بالحكمة القائلة : « ما لا يدرك جله لا يترك كله » .

وأرجو أن يرزقنا الله جميعا اخلاص النية ، وسلامة الطوية .. واخلاص العمل ، فيما نأتى وندع وأن يجعل أعمالنا كلها خالصة لوجهه الكريم .. انه نعم المولى ونعم النصير .

***

نصوص الآيات :

أولا :

قال تعالى فى سورة البقرة :

« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » .

« أياما معدودات ، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ، فمن تطوع خيرا فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم ان

كنتم تعلمون . شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه ، ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر ، يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ، ولتكملوا العدة ، ولتكبروا الله على ما هداكم ، ولعلكم تشكرون » .

(وهى الآيات : ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥) من سورة البقرة .

ثم يقول سبحانه :

« أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ، فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل ، ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد ، تلك حدود الله فلا تقربوها ، كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون » .

(الآية ١٨٧) من البقرة .

ويقول سبحانه :

« وأتموا الحج والعمرة لله ، فان أحصرتم فما استيسر من الهدى ، ولا تحلقوا رءوسكم حتى يبلغ الهدى محله ، فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك ، فاذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام فى الحج وسبعة اذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة ، ذلك لمن لم يكن أهله حاضرى المسجد الحرام ، واتقوا الله ، واعلموا ان الله شديد العقاب » .

(الآية ١٩٦) من البقرة .

ثانيا :

أما آية سورة النساء ، فقوله تعالى :

« وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ ، ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة الى أهله إلا أن يصدقوا ، فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن ،

فتحرير رقبة مؤمنة ، وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى أهله ، وتحرير رقبة مؤمنة ، فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، توبة من الله ، وكان الله عليما حكيما » .

(الآية ٩٢) من سورة النساء .

ثالثا :

وأما آيتا سورة المائدة فهما كما يلى :

قال تعالى :

« لا يؤاخذكم الله باللغو فى ايمانكم ، ولكن يؤاخذكم بماعقدتم الايمان ، فكفارته اطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة ، فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا أيمانكم ، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون » .

(الآية ٨٩) من سورة المائدة .

ويقول تعالى :

« يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم ، يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة ، أو كفارة طعام مسكين ، أو عدل ذلك صياما ، ليذوق وبال أمره ، عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام » .

(الآية ٩٥) من المائدة .

***

رابعا :

وأما آية سورة مريم ، فهى قوله تعالى مخاطبا مريم عليها السلام :

« فكلى واشربى وقرى عينا ، فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا » .

(الآية ٢٦) من سورة مريم .

***

خامسا :

وأما آية سورة الأحزاب ، فقوله تعالى :

« ان المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ،

والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » .

(الآية ٣٥) من سورة الأحزاب .

***

سادسا :

وأما آية سورة المجادلة ، فهى قوله تعالى :

« فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ، ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله ، وتلك حدود الله ، وللكافرين عذاب أليم » .

(الآية ٤) من سورة المجادلة .

العون من الله :

واستعين بالله ، فاقتطف من ثمرات هذه الآيات .. ومن أزهارها ذات الأريج العبق الفياح . ما أنا شاعر بشدة الحاجة اليه غذاء شافيا ، ودواء ناجعا ، لكثير من أمراضنا وعللنا .. وبخاصة ميا توحى به الآيات فى مجالات الصيام .. وما يتصل بها .. ووضعها بالنسبة لما حولها .. وكل ما أرى فيه اتماما للفائدة ، بمشيئة الله .

***

صيام الفريضة :

تكلمت فى الآيات الأربع الأولى من سورة البقرة — وفق تدوينها السابق . وسألتزم فى الكلام عنه بما جاء فى النص القرآنى — احتراما لعنوان المقال .. الا فيما يتعلق بتوضيح بعض الحقائق .. أو تصحيح بعض المفاهيم .. كما أشرت الى ذلك من قبل ..

والمراد بصيام الفريضة — صيام شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن .. وهو ركن من أركان الاسلام التى قام عليها بناؤه .. كما نص على ذلك حديث « بنى الاسلام على خمس .. » .

وقد أوضحت الآيات هذه الفرضية ، فى قوله تعالى : « كتب عليكم الصيام » أى فرض .

وحددت مدته وزمنه ، فى قوله : « أياما معدودات » وقوله : « شهر رمضان ... » الى قوله : « فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .. فالمفروض صيام أيام شهر رمضان .

والمراد بشهود الشهر ، أن يكون المكلف مقيما غير مسافر فى الشهر .

أما المسافر ، فقد رخص له بالأفطار ، اذا شاء ، وعليه القضاء .

كذلك المريض الذى يرجى برؤه ، يفطر وعليه القضاء .. بدليل قوله تعالى : « فمن كان منكم مريضا أو على سفر ، فعدة من أيام أخر .. » .

أما الذى يطيق الصيام ، أى تحمله بمشقة ، فله أن يفطر ، ويقدم فدية ، اطعام مسكين عن كل يوم يفطره .. وله أن يصوم ، وصيامه خير له من الافطار .. بدليل قوله تعالى : « وعلى الذين يطيقونه فدية » .. الى قوله : « وأن تصوموا خير لكم » .

أما زمن الصيام ووقته ، فهو من طلوع الفجر الى غروب الشمس . جاء ذلك فى قوله تعالى : « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل » .

والمراد بالخيط الأبيض والخيط الأسود ، بياض النهار وسواد الليل ، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم — لعدى بن حاتم .. وقد عمد الى عقالين أبيض وأسود ، وجعلهما تحت وسادته ، وكان يقوم من الليل فينظر اليهما ، فلا يتبين له الأبيض من الأسود .. فلما أصبح ذهب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما كان منه ... فضحك صلى الله عليه وسلم وقال له : « انك لعريض القفا ، انما ذلك بياض النهار وسواد الليل » .

(وعريض القفا ، كناية عن بلاهة الرجل وقلة فطنته » .

فكلمة « من الفجر » تشعر بأن المراد بياض النهار وسواد الليل ، لأنهما بيان للخيط الأبيض .. واكتفى به عن بيان الخيط الأسود ، لأن بيان أحدهما بيان للثانى .. لكن طاقة عدى بن حاتم من الفهم لم تكن تحتمل هذا الادراك .. « ولا يكلف الله نفسا الا وسعها » .

ان الخيط الأبيض هو أول ما يبدو من الفجر المعترض فى الأفق كالخيط الممدود .. والخيط الأسود ما يمتد من غبش الليل .. شبها بخيطين أبيض واسود .

ثم آية : «أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم » : أباحت مباشرة الرجال لنسائهم . فى ليالى رمضان .. وكانت المباشرة من قبل الاباحة مستقبحة حدوثها من الصائمين .

ومع اباحتها عبر القرآن عنها (بالرفث) وهو الفحش للاشعار بأنها عمل حيوانى لا يستأهل أن يقصده الصائمون لذاته .. يؤكد هذا الفهم قوله تعالى : « وابتغوا ما كتب الله لكم » ، أى لا تجعلوا المباشرة لقضاء الشهوة وحدها هدفكم ، ولكن لابتغاء ما وضع له النكاح من التناسل .. فذلك هو الأليق بالمؤمنين ، فى رمضان وفى غير رمضان .

وقد ذكرت الآيات المفطرات الحسية التى يبطل بها الصيام فى نهار رمضان ، وهى الأكل والشرب ومباشرة النساء .. فقد أباحتها لنا فى الليل ، وحرمتها علينا فى النهار (من طلوع الفجر ، الى غروب الشمس) .. الا من أكل أو شرب ناسيا ، فانه لا يبطل صيامه .. لأنه رزق ساقه الله اليه ، كما أخبرنا بذلك سيدنا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه .

فهل هذه المفطرات الحسية هى وحدها التى يفسد بها الصيام ويبطل ؟ ! ان للصوم مفطرات معنوية يغفل عنها كثير من الناس . ومن ذلك ما جاء فى قول الرسول « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » اذن منها قول الزور والعمل به .. وتأكد هذا المعنى فى

قوله الشريف : « رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش » .

ان هناك من المعاصى ما حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من التلبس به مع الصيام ، وبالغ فى شأنه ، حتى عده من المفطرات ، بل لا لشأنه ، واشارة الى أنه لا يناسب حال الصائم الذى يرجو رحمة ربه ، ويخشى غضبه وانتقامه . وقد بينها رسول الرحمة والرأفة فى حديثه الشريف حتى لا نقربها ، وأملا فى أن يتقبل الله منا صيامنا ، فلا ينقص أجرنا منه .. أو ابقاء على صيامنا سليما مبرأ مما يسخط الرب العلى سبحانه لا يصلح عمل المفسدين .. وهو طيب لا يقبل الا طيبا .. وانما يتقبل الله من المتقين .

ولذا فان رسول الله يقول : « خمس يفطرن الصائم : الكذب ، والغيبة ، وشهادة الزور ، واليمين الغموس ، والنظرة الفاجرة أو الفاجرة » ..

ولعل من الخير الوقوف حيالها بعض الوقت :

ان الكذب يفطر الصائم ، لأنه خلق وضيع خسيس لا يليق بانسان ، ولأنه يتعارض مع حقائق الايمان . فقد سئل رسول الله : أيكون المؤمن بخيلا ؟ قال : قد يكون .. وسئل : أيكون جبانا ؟ قال : قد يكون .. ولكن لما سئل صلى الله عليه وسلم : أيكون كذابا ؟ قال : لا .. ولما سئل : أيكون خائنا أو غدارا ؟ قال : لا ... ذلك ان الاسلام عقيدة وشريعة ، والعقيدة تتطلب الصدق .. والشريعة تتطلب أمانة التنفيذ .

فالكذب يفسد من غير شك صيام الصائمين .. وبخاصة أولئك الذين لا ينبعث صيامهم عن ايمان به ، أو رغبة صادقة فيه .. اذ لو صادقين فى صيامهم ما كذبوا أو لو كانوا مؤمنين حقا ما كذبوا ..

ولذا يقول الرسول فى حديث شريف : « واياكم والكذب ، فان الكذب يهدى الى الفجور وان الفجور يهدى الى النار .. وان الرجل ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » .

والغيبة : وهى ذكر أخاك بما يكره فى غيبته بما هو فيه ـ تفطر الصائم .. فما بالك لو ذكر أخاه المسلم بما يكره بغير ما هو فيه .. انه من باب أولى يفطر الصائم ، لأنه أضاف الى اغتيابه بهتانا .. والبهتان أشنع ألوان الكذب .. فهو كذب يحتل فى طياته ارادة الفضيحة للمكذوب عليه .. فيكون من يتظاهر بالصيام ـ قد جمع بين ظاهرتين قبيحتين ، تبطل كل واحدة منهما صيام الصائم (كذب ، وغيبة) فما بالك باجتماعهما فى انسان يتظاهر بالصيام ، وهو كذاب ومغتاب ..

ان بطلان صيامه من باب أولى: ان الرسول قد سئل فى الغيبة عمن يذكر أخاه بما ليس فيه .. فكان جوابه صلى الله عليه وسلم : ان ذكرته بغير ما فيه فقد بهته ، أى كذبت عليه وفضحته بما ليس فيه. وليس هذا من خلق الاسلام والمسلمين .. فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ..

وشهادة الزور : تفطر الصائم، أو تضيع ثواب الصيام .. فهى تقلب الحق باطلا ، والباطل حقا .. وتختل بها موازين الحق والعدل.

ان شاهد الزور مصيبته كبرى .. فقد بلغت به القحة والخسة والسفاهة ـ أنه يكذب على نفسه ، فيغشها ويتبع هواها ، ولا يبالى بما يحملها من آثام .. ويكذب على القاضى ويضلله ليحكم بغير الحق .. ويكذب على المشهود عليه فيظلمه ويضيع حقه .. فهل مثل هذا يقبل الله صيامه ؟!

ان رسول الله حين سئل عن أكبر الكبائر قال : الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئا فجلس ، وأخذ يقول : وشهادة الزور .. ألا وقول الزور .. وأخذ يرددها حتى قالت الصحابة : ليتنا ما سألناه .. شفقة به صلى الله عليه وسلم .

واليمين الغموس : تضيع ثواب الصيام .. أو هى من مفطرات الصائم .. وسميت غموسا ، لأنها تغمس صاحبها فى نار جهنم .. كالذى يقسم بالله على شىء هو

بئس أنه كاذب .. انه يحلف بالله وهو متعمد الكذب .. كأنه لايبالى بربه ، ولا يخاف بأسه ، ولا يخشى عذابه .. هذه اليمين يضج لها من الرحمن جل جلاله .. من هولها .. ومن جرأة الذين لا يخشون الله فيحلفون باسمه كذبا ..

يقولون ان الحسين رضى الله عنه كان له درع عند رجل .. أو سيف .. فلما راح يطلبه منه أنكره .. وتقاضيا .. وطلب الحسين من الرجل أن يحلف اليمين .. فأراد الرجل أن يثنى على الله أثناء الحلف فمنعه الحسين .. وطلب منه أن يقسم القسم المجرد .. فما كاد الرجل يحلف بالله وهو كاذب ، حتى سقط ميتا .. فسأله القاضى عن سر فى هذا ..

فقال له الحسين : خفت أن يثنى على الله فيرحمه .. وأردت أن يقسم القسم المجرد وهو كاذب فيمقت الله منه .. وقد كان .. فمقت الله منه وسقط ميتا .. لكنها كرامة الحسين .. وأين نحن من هذه الكرامة ..

ان اليمين الغموس لا غرابة فى أنها تفطر الصائم ..

والنظرة الفاجرة أو الآثمة :

انها تفطر الصائم .. أو تضيع ثواب الصوم .

وهى التى أشار الى مثلها الخليفة عمر ، أو عثمان .. حين دخل عليه جماعة ، وفيهم من نظر الى امرأة بشهوة فى الطريق .. فقال : يدخل على أحدكم وأثر الزنى باد فى عينيه ..

فقيل له : أوحى بعد رسول الله ؟ ! فقال : لا فراسة المؤمن الذى يرى بنور الله .

اذن هى النظرة الزانية .. يقول الرسول : « وزنى العين النظر » .

ويقول الرسول كرم الله وجهه : « يا على لا تتبع النظرة النظرة ، فالأولى لك والثانية عليك » ...

ويقول الله فى الحديث القدسى :

القلوب ، يعظ النفوس ، ويجلو العقول ، وربنا من قبل ومن بعد ، أبدلته ايمانا يجد حلاوته فى قلبه » .

فهل نحن نعى هذه الامور المعنوية ، ونعنى بها عنايتنا بالمفطرات الحسية ..

ألا ما أكثر المفطرين فى نهار رمضان .. وهم لا يشعرون .

***

ثم ماذا ؟

ثم يختم الله هذه الآيات بقوله : « كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون» .. ألا ما أشد علاقة الصوم بالتقوى للصائمين حقا .. فهو جنة ووقاية .. وهو امتثال صادق لأمر الله بالامتناع عما ألفته النفس من حياة .. فتقوى ارادتها فى مرضاة الله .. وتعيش بالحق وللحق قوة لا تقهر ، وعزة لا تذل وهداية لن تضل ، وحياة باقية لا تبلى ولا تفنى .. وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون .

صيام الفدية ، أو كفارة التحلل من الاحرام :

أما الآية الباقية من آيات سورة البقرة الوارد فيها الصيام ، فهى الآية المبدوءة بقوله تعالى : « وأتموا الحج والعمرة لله .. الخ » .

فالصيام الوارد فيها جاء مرتين : مرة أولى ، فى قوله تعالى : « فمن كان مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة او نسك » .

ومرة ثانية : فى قوله : « فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة » .

فالصيام فى المرة الاولى هو صيام ثلاثة أيام ، كفدية يقدمها المحرم الذى تحلل من احرامه ، بحلق شعر رأسه ، بسبب المرض أو الأذى الذى أصابه ، من قمل أو جراحة .

وهو صيام على التخيير ، وليس لازما .. فمن حقه أن يفدى

بصدقة يتصدق بها على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر .. أو يفدى بنسك وهو شاة .

وذلك الفداء خاص بمن تحلل من احرامه ، وكان محصرا ، أى منعه أمر من خوف ، أو مرض ، أو عجز .

وعن كعب بن عجرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : لعلك أذاك هوامك ؟ قال : نعم يا رسول الله ـ قال : « احلق رأسك ، وصم ثلاثة أيام ، أو أطعم ستة مساكين ، أو أنسك شاة » .. وكان كعب يقول : فى نزلت هذه الآية .

أما الصيام فى المرة الثانية ، وهو صيام عشرة أيام (ثلاثة فى فى الحج ، وسبعة اذا رجع) ، فهو فدية ، أو كفارة ، لمن كان آمنا الاحصار .. أى كان فى حالة أمن وسعة ، ولكنه رغب فى أن يتمتع بالعمرة الى الحج .. أى استمتاعه بالعمرة الى وقت الحج .. وهو انتفاعه بالتقرب بها الى الله تعالى قبل الانتفاع بتقربه بالحج .

وقيل ان المعنى انه اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ماكان محرما عليه الى أن يحرم بالحج ـ فعليه هدى المتعة ، وهو نسك عند أبى حنيفة ، ويأكل منه .. وعند الشافعى يجرى مجرى الجنايات ولا يأكل منه ..

أما ذبح الهدى ، فوقته يوم النحر .. ويجوز ذبحه اذا أحرم بحجه ..

فمن لم يجد الهدى ، فعليه صيام ثلاثة أيام فى الحج ، أى فى وقته وأيامه ، ما بين الاحرامين : احرام العمرة ، واحرام الحج .. وهو مذهب أبى حنيفة .. والأفضل أن يصوم يوم التروية ، وعرفة ، ويوما قبلهما .. فاذا مضى الوقت لم يجزئه الا الدم .

وعند الشافعى : لا تصام الأيام الثلاثة المطلوب صيامها بالحج ، الا بعد الاحرام بالحج ، تمسكا بظاهر قوله تعالى « فى الحج » .. وأما صيام الأيام السبعة الواردة فى قوله تعالى : « وسبعة اذا رجعتم » ، فالمراد بقوله « اذا

رجعتم » أى اذا فرغتم من أفعال الحج ، عند أبى حنيفة .. لكن الشافعى يرى أن المراد بالرجوع : هو الرجوع الى الأهل .

وهذا الصيام (صيام الأيام العشرة) ، ليس صياما على التخيير ، كالذى كان فى حالة الاحصار .. لكنه صيام واجب الأداء ، على من لم يجد الهدى ، فى مقابل تحلله واستمتاعه بما كان محرما عليه فى حالة الأمن .

فالهدى هنا مقدم على الصيام فى تقديم الفداء .. ولا يلجأ الى الصيام الا فى حالة عجزه عن تقديم الهدى .

هذا ، والصيامان فى كلا الحالين (حالة الاحصار .. وحالة الامن) ـ عبادة لله تعالى تحمل معنى شكره سبحانه ، فى مقابل ما وسع الله على المتحلل من اجرامه واباحته له أن يستمتع بما كان محرما عليه .. وشكر الله مطلوب دائما من المؤمنين الصادقين .

صيام التوبة ، أو القبول والرحمة :

فى آية سورة النساء المبدوءة بقوله تعالى : « وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ .. » يقرر الحق تبارك وتعالى أن من شأن المؤمن ألا يكون منه قتل لمؤمن أبدا ، الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد ، بأن يرمى كافرا فيصيب مسلما ، أو يرمى شخصا على أنه كافر فاذا هو مسلم .

والآية تبين أن كفارة هذا القتل الخطأ ، تختلف باختلاف حال قوم من وقع عليه القتل .

فان كان من قوم مؤمنين ، فكفارة هذا القتل شيئان لا بد منهما :

(عتق رقبة مؤمنة .. وديه تسلم الى أهله) .

وان كان المقتول من قوم كافرين معادين للمؤمنين ، فكفارته شىء واحد :

(هو عتق رقبة مؤمنة) .

أما ان كان القتيل من قوم بيننا وبينهم ميثاق ، أى كفرة لهم ذمة عندنا وعهد ، كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين ، وأهل الذمة من الكتابيين .. فحكمه حكم مسلم من مسلمين .. أى كفارته :

دية تسلم الى أهله .. وعتق رقبة مؤمنة) .. ولكن الآية الكريمة زادت فى هذه الحالة شيئا بديلا لمن لا يملك تحرير الرقبة ، وهو أن يصوم القاتل شهرين متتابعين .

وقد يبدو صيام الشهرين المتتابعين أمرا شاقا . لكنه أمر الله العليم الخبير بالعلاج المناسب لقبول توبة القاتل التائب وتربيته وايقاظه من غفلته ، حتى لا يقع مرة أخرى فى مثل هذا الخطأ .. فالمؤمن كيس فطن .. أو ينبغى أن يكون كذلك بتعهده واعداده وعلاجه .. حتى يكون جديرا بانتسابه الى الايمان ، وحسبانه فى عداد المؤمنين .

***

صيام كفارة اليمين :

وذلك فى الآية الأولى من آيتى سورة المائدة .. وهى التى مطلعها : « لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ، ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان » ..

وفيها يقرر الحق تبارك وتعالى ، أن كفارة اليمين التى عقدها صاحبها ، أى وثقها وأكدها بالقصد والنية ، ونكث فيها .. هى :

اطعام عشرة مساكين ، أو كسوتهم أو تحرير رقبة — على التخيير فيها .. فمن لم يجد احداها .. فصيام ثلاثة أيام متتابعات .

وليس لكفارة اليمين غير ماذكر الله تعالى فى كتابه الكريم .

ومن هنا .. يظهر خطأ الذين يسارعون بالافتاء لمن يحنث فى يمينه ، بأن يصوم ثلاثة أيام .. ابتداء .. فى حين يملك الحانث أن يطعم عشرة مساكين أو كسوتهم .. وقد يملك عتق الرقبة .. فصيام ثلاثة ايام — لا تكون الا لمن لا يملك الا طعام ، ولا يستطيع أن يكسو .. ولا يقدر على عتق الرقبة .

ان الآية أوضح من الوضوح فى هذا الأمر ، والخير كل الخير فى أن نلتزم بما جاءنا من عند الله .

ثم ان الكسوة المطلوبة — ثوب يغطى العورة — أو ما يعد كسوة فى العرف .. فمن زاد كان خيرا . وأن تصدقوا خير لكم .

والشافعى يشترط فى الرقبة المحررة أن تكون مؤمنة قياسا على كفارة القتل .

وأما أبو حنيفة وأصحابه ، فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة .

وينبغى أن يكون معلوما أن التكفير قبل الحنث ، لا يجوز عند أبى حنيفة وأصحابه .

ويجوز عند الشافعى ، تقديم كفارة بغير صوم .. أى يجيز أن يقدم الكفارة اذا كانت اطعاما أو كسوة ، أو تحرير رقبة .. أما الصيام فلا يقدم .

وانى أميل الى أن نبر بايماننا ، ولا نحنث فيها .. وخاصة اذا كان فى الحنث معصية ، وفى عدمه طاعة .. أما اذا كان العكس فالتكفير أولى .

ولذا ورد فى الحديث الشريف « من حلف على معصية ، فليحنث فى يمينه وليكفر » .

وورد أن « من حلف على شىء ورأى غيره خيرا منه ، فليكفر عن يمينه وليأت بالذى هو خير » .

ولذا ، قال الله : « واحفظوا ايمانكم » ، أى اذا حلفتم بها ، فلا تنسوها تهاونا بها . ولأن التهاون فى الحقيقة — تهاون بالمحلوف به وهو الله سبحانه ، أو باسم من أسمائه ، أو صفة من صفات ذاته — وهى الأمور التى لا يصح الحلف الا بها .. والتهاون من شأنه أن يجر الى ما لا تحمد عقباه .

فلنتق الله القائل : « ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس » .

واذا كان الله ينهانا عن أن نجعل الله عرضة لأيماننا فيما هو بر ، وتقوى ، واصلاح — ففى غيره

أولى .. صيانة لاسم الله ، وتعظيما واجلالا لشأنه جل جلاله .

***

صيام الكفارة فى قتل الصيد :

وذلك فى الآية الثانية من آيتى سورة المائدة .

وهى الآية التى يقول الله فيها « يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ، ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم، يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة ، أو كفارة طعام مساكين ، أو عدل ذلك صياما » .

والتعمد ، أن يقتل الصيد وهو ذاكر لاحرامه ، أو عالم أن مايقتله مما يحرم عليه قتله .. فان قتله وهو ناس لاحرامه ، أو رمى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد ، فاذا هو صيد ، أو قصد برميه غير صيد ، فعدل السهم عن رميته فأصاب صيدا ، فهو مخطىء .

والآية فى ظاهرها تفيد أن قتل الصيد عمدا من محرم هو الذى يعتبر ذنبا تجب فيه الكفارة . أما القتل الخطأ فلا شىء فيه .. أخذ بذلك الصحابى سعيد بن جبير .. فهو يقول : لاأرى فى الخطأ شيئا ، أخذا باشتراط العمد فى الآية .

ويقول الزهرى : نزل الكتاب بالعمد ، ووردت السنة بالخطأ .. فكلاهما مؤاخذ به .

وعن الحسن روايتان : رواية تتفق مع ما ذهب اليه سعيد بن جبير .. ورواية أخرى توافق ما ذهب اليه الزهرى .

وأغلب الفقهاء على المؤاخذة على قتل الصيد عمدا أو غير عمد . أخذا بما حدث فى عهد الرسول وصحابته .

ولأن الأصل فعل العمد ، والخطأ لاحق به للتغليظ .. ويدل عليه قوله تعالى : « ليذوق وبال أمره ، ومن عاد فينتقم الله منه » .

والمهم بيان الجزاء ، لنصل الى كفارة الصيام .

فالآية جاء فيها : « فجزاء مثل ما قتل من النعم » أى فعليه جزاء يماثل ما قتل من الصيد ..

وهو عند ابى حنيفة قيمة المصيد .. يقوم حيث صيد ، فان بلغت قيمته ثمن الهدى ، يخير بين أن يهدى من النعم ما قيمته قيمة الصيد ، وبين أن يشترى بقيمته طعاما ، فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر ، أو صاعا من غيره . وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما .. فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين ، صام عنه يوما ، أو تصدق به .

واذن فالجزاء على التخيير بين الهدى ، أو الاطعام بقيمته ، أو أن يصوم يوما عن طعام كل مسكين .

وعند الشافعى ومحمد ــ مثله ، أى نظيره من النعم .. فان لم يكن له نظير من النعم ــ عدل الى قول أبى حنيفة .

وقوله : « يحكم به ذوا عدل منكم » تفيد أن الذى يحكم بمثل ما قتل ــ حكمان عادلان من المسلمين ..

وفيه دليل على أن المثل القيمة ، لأن التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد ، دون الأشياء المشاهدة .

وفى قوله : « أو عدل ذلك صياما » ، اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل .. والخيار فى ذلك الى قاتل الصيد عند أبى حنيفة وأبى يوسف .. وعند محمد الى الحكمين .

هذا ، ومعرفة هذه الأحكام شىء واجب ، وتنفيذها أوجب ، على كل مؤمن حريص على العلم بأحكام الله ، والسير على هداها ، ما وسعه ذلك ، حتى لا تزل به القدم ، أو ينحرف عن سواء السبيل ، فيستفحل الخطر .. ومعظم النار من مستصغر الشرر .

***

صيام الصمت :

يتجلى ذلك فى الآية التى خاطبت الله بها السيدة مريم فى قوله تعالى : « فكلى واشربى وقرى عينا ، فاما ترين من البشر أحدا فقولى انى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم انسيا » .

فالله يأمر السيدة مريم اذا ما رأت أحدا من البشر أن تقول : « انى

نذرت للرحمن صوما» أى صمتا.. وفى مصحف عبد الله (صمتا).. وعن أنس بن مالك مثله.. وقيل : صياما .. الا أنهم كانو لا يتكلمون فى صيامهم .. وقد نهى سيدنا رسول الله عن صوم الصمت؛ لأنه نسخ فى أمته .

وأمر الله السيدة مريم بأن تنذر الصوم ، لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها فى الكلام .. ولأمور ذات معان :

أولها : أن عيسى عليه السلام سيكفيها الكلام بما يبرىء ساحتها .

وثانيها : مجادلة السفهاء ومناقلتهم ، لأن من يجادلهم ينزل بنفسه الى مستواهم ويكون مثلهم .

وثالثها : أن السكوت عن السفيه واجب يوجبه احترام الانسان لنفسه .

ورابعها : ثبت أن من أذل الناس — سفيها لم يجد مسافها . فكيف أخبرتهم بأنها صائمة ؟

قيل ان الله تعالى سوغ لها النطق بذلك .

وقيل : انها أخبرتهم بالاشارة بما يفيد أنها نذرت الصوم .

وهذا الصيام الذى كلفت به مريم وامتثلت له — كان فيه الخير والبركة ، والانتصار على النفس ، وعلى السفهاء من أعدائها .

وانه لمن الخير أن نصمت حين يجب الكلام .

وانه لمن الخير أن نصمت حين يحسن الصمت .. وأن نتكلم حين يجب الكلام .

***

الصيام من صفات الكمال :

انه لو تمثلت معانى الصيام وحدها فى الناس سلوكا وعملا ومعاملة ، لكدنا أن نرى أنفسنا أمام ملائكة تمشى على الأرض ، ورسل تنطق بالحق ، وتقيم موازين العدل ، وتنشر الخير فى كل مكان .. فما بالنا لو تجمعت فى انسان كل صفات الكمال التى ذكرتها الآية الكريمة من سورة الأحزاب ؟ .

ان الآية تقول :

« ان المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » .

فهل مثل هذه الصفات التى هى جماع مكارم الأخلاق ، والتى هى عنوان على خير دين جاء به من عند الله ، الرحمة المهداة ، محمد بن عبد الله — ندعهما بدون تعليق .

ان من الخير الذى لا شك فيه ، اتماما للفائدة — أن نشير اليها بشىء من البيان .. وبخاصة فان بينها صفة الصيام .. وذلك بعد اشارة خفيفة الى ما قيل من أسباب نزولها .

يروى أن أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله : ذكر الله الرجال فى القرآن بخير ، أفما فينا خير نذكر به ؟ .. انا نخاف أن لا تقبل منا طاعة .. وقيل ان السائلة هى السيدة أم سلمة رضى الله عنها .

وروى أنه لما نزل فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم ما نزل فى آية « يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ، وقلن قولا معروفا .. » قال نساء المسلمين : فما نزل فينا شىء .. فنزلت « ان المسلمين والمسلمات .. الخ » .

فمن المسلم ؟

المسلم هو المنقاد للحق الذى لا يعاند ولا يشاغب .. والمسلم هو المفوض أمره الى الله المتوكل عليه ، مأخوذ من « أسلم وجهه الى الله » .

والمسلم هو الداخل فى السلم بعد الحرب .. فالاسلام سلام وليس فيه أبدا عدوان .. وان حروبه كلها كانت لرد العدوان ،

والدفاع عن كلمة الحق ، وحريتها، وصيانتها من الذين يريدون وأدها فى مهدها ، واسكات صوتها الندى الداعى الى البر والخير والعدالة والمساواة ، وحرية العقيدة والرأى « لا اكراه فى الدين » .. أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » .. وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع البصير » .

ومن المؤمن ؟

والمؤمن هو المصدق بالله ورسوله ، وبما يجب أن يصدق به، من رسل الله وملائكته وكتبه واليوم الآخر ، والمؤمن بالقدر خيره وشره ، وبالجنة والنار ، والبعث والحساب والعقاب والثواب « يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم» . « قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى، وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » ، « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير » .

ومن الصادق ؟

الصادق الذى يصدق فى نيته قوله وعمله .. يقول الرسول : « عليكم بالصدق فان الصدق يهدى الى البر ، وان البر يهدى الى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا » . والصدق من صفات الأنبياء المكرمين ، قال تعالى : « واذكر فى الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا ، ورفعناه مكانا عليا » ، « واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا » .

ومن الصابر ؟

هو من يصبر على الطاعات ، فلا يملها ولا يضيق بها ، مهما بذل فى سبيلها .. ويصبر عن المعاصى،

فلا يضعف أمامها ، ولا ينقاد لها .

ومن الخاشع ؟

هو المتواضع لله بقلبه وجوارحه .. يعرف قدر نفسه ، وقدر ربه ، فلا يغفل عن ذكره ، ويقر دائما بعجزه أمام قدرة خالقه ورازقه ، ومعينه وراحمه ، ومحييه ومميته .

ومن المتصدق ؟

هو الذى يزكى ماله ، ويؤدى واجباته ، ولا يخل بالنوافل .. فهو يؤدى الفريضة لا يقف عند أدائها بل يزيد عليها ويزيد ، ويعطى المزيد ، ويتطوع بالبذل والعطاء فى كل مجالات الخير ، ما دام قادرا . « وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين » .. والزكاة دائما بركة ونماء ، وعلاج ودواء .. « داووا مرضاكم بالصدقة » .

وقيل : « من تصدق فى اسبوع بدرهم فهو من المتصدقين .. ومن صام البعض من كل شهر فهو من الصائمين » . « ولا يكلف الله نفسا الا وسعها » .

ومن الصائم ؟

تكلمت فيه كثيرا .. وحسبى أن أقول هنا فى ايجاز .. انه الذى يصوم عن جميع المفطرات حسية ومعنوية ، ويكف عن كل ما نهى الله عنه .. ولا يقول الزور ولا يعمل به .. ويعطى للصيام قداسته واحترامه .. فلا يكذب ولا يغتاب ، ولا يشهد الزور ، ولا يحلف بالله كذبا ، ولا يزنى بعينه ... ثم هو الذى راض نفسه على الصبر والمجاهدة واحتمال المشقات وأداء الواجبات ، وانصرف بحق عن كل ما يغضب الله .. وهو الذى صامت جوارحه عن الأذى .. وتنزه سمعه عن سماع الفاحشة ، وصان لسانه عن قالة السوء ، ويده عن البطش بها ، ورجله عن السعى بها الى معصية ، وقلبه عن الحسد والحقد والضغينة .. الخ الخ وحفظ الفرج :

صيانته عن الحرام .. والابقاء على طهارته رغم الشيطان .. ولذا يقول الرسول : « من يحفظ لى ما بين فكيه ، وما بين فخذيه

أضمن له الجنة » ، وما بين الفكين هو اللسان .. وما بين الفخذين هو الفرج .. ويطلق على الذكر والأنثى فيقال للرجل فرج ، وللمرأة فرج ..

وان أمة تصان فروج أبنائها وبناتها ، لهى خير أمة أخرجت للناس .

والذاكرين الله كثيرا :

الذاكر كثيرا ، هو من لا يغفل عن ذكر الله أبدا .. فى كل أحواله .. فى يقظته ومنامه .. فى شدته ورخائه .. فى أعماله ومعاملاته .. فى عبادته وصلواته .. بقلبه أو لسانه ، أو بهما معا .. وقراءة القرآن ذكر .. والاشتغال بالعلم ذكر .. والدعاء ذكر .. والصلاة فريضة ونافلة ذكر .. ولا شك ان خير ألوان الذكر الفضلة وقراءة القرآن .. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم اذا أراد أن يناجى فزع الى الصلاة .. واذا أراد أن يناجيه ربه تلا كلام الله .. فقد جمع الخير كله .. من دعاء واستغفار وتسبيح وتكبير وتحميد وتذكير وتفكير ، وخضوع وخشوع وتسليم واستسلام لله رب العالمين ، وعلم وتعليم ..

ثم يقول الرسول : «من استيقظ من نومه وأيقظ امرأته ، فصليا جميعا ركعتين ، كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات ..

ويقول : « ركعتان فى جوف الليل خير من الدنيا وما فيها » .

هذا ، وما ينطبق على الذكور ينطبق على الإناث فى هذه الصفات كلها .

فالآية الكريمة سوت بينهما فى العمل ، وفى الأجر والمثوبة التى يمنحها الله للعاملين والعاملات على سواء .. « أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما » .. من عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

***

وأخيرا صيام كفارة الظهار :

وقد بينته الآية الرابعة من سورة المجادلة .

والظهار ، أن يحرم الرجل زوجته على نفسه ، بقوله لها : أنت على كظهر أمى .. فتصير بهذه العبارة المنكرة محرمة عليه مطلقة منه .. وهى عادة جاهلية مستقبحة ، أنكرها الاسلام وأبطلها ، واعتبرها منكرا من القول وزورا .. وعملا لا يليق بالأطهار من المسلمين الأبرار .

والاسلام جعل كفارة الظهار واجبة الأداء على من يريد تظهير نفسه ، ويريد العودة الى امرأته التى ظاهر منها .. وليكون له بعد ذلك حق ملامستها والاستمتاع بها كزوجة ..

والكفارة وردت فى الآية الكريمة منسقة ومرتبة على الوجه الآتى :

ـ تحرير رقبة من قبل أن يتماسا .

ـ فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين .

ـ فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا .

فترتيب صيام الشهرين المتتابعين ـ جاء وسطا بين تحرير الرقبة ، واطعام ستين مسكينا .. ولا بأس من الكلام عن هذه الكفارة بشىء من البيان اتماما للفائدة .

فأى رقبة تجزىء فى كفارة الظهار ؟

ان عتق الرقبة أو تحريرها جاءت فى الآية مطلقة ، فتجزىء المسلمة والكافرة على سواء ، عملا بظاهر النص الذى لم يقيد الرقبة بوصف الايمان .

وان كان الشافعى (رحمه الله) لا تجزىء عنده الا الرقبة المؤمنة لقوله تعالى فى كفارة القتل « فتحرير رقبة مؤمنة » ، فكأنه (رحمه الله » يحمل المطلق على المقيد .

على أن الرقبة قل وجودها ، أو لا وجود لها فى هذه الأيام .. بعد أن بذل الاسلام كثيرا .. وأدى واجبه كاملا فى تحرير الرقاب ، على مدى أربعة عشر قرنا .. وليس عند المسلمين الآن ـ والحمد لله ـ أرقاء .

وهذا لا يغير من الحكم ، لأن أحكام الاسلام عامة شـــاملة ، وصالحة لكل زمان ومكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وقد تلاحظ أن كفارة الظهـار بالصيام ــ تبـــدو ظاهـــرها قاسية ، لأنها صيام شهرين كاملين متتابعين .. لكن المشرع الحـكيم العليم الخبير ، وقد حكم بها ــ لابد أنها العلاج الناجع فى اصلاح النفس وتطهيـرها مما ترتكب من أخطاء الظهار ، وتخليصها من عيشها في جاهليتهـا الأولى .. على أن عندنا فى جاهليتنا الحديثة ــ من يطلق امرأته طلاقا بدعيا ، يحتال به على اذلالها ، وتعذيبها ، واضاعة حقها ، والانتقام منها .. وهو يعلم أو لا يعلم أن أبغض الحلال الى الله الطلاق .. وعندنا من يعلق أمرأته ويمسكها ضرارا ليعتدى ..

ومع ذلك ، فقد أعطى الله مـن لم يستطع الصيام رخصـة اطعام ستين مسكينا .. بأن يعطى كل مسكين (مـــدا) من طعام بلده الذى يقتات منه ، عند الشافعى .. ويعطيه عند أبى حنيفة (نصـف صاع من بر ، أو صاعا من غيره) .. وفى ذلك تخفيف من الله ورحمة .

وقد أعجبنى رأى للأحنـاف ، فيه التيسير على الناس .. يحكمون فيه العرف ، فى موضوع الكسوة (اذا كان فى الـكفارة كسـوة ، ككفارة اليمن ..) ، وفى موضوع الاطعام .. فكل ما يعتبره العرف اطعاما ــ سـواء كان وجبـة أو وجبتين مطهيتين ، فهو اطعـــام مسكين .

وكل ما يعتبره العرف كسوة ، فهو الكسوة المطلوبة .. والمهم أن يراعى فى الأحكام كل ما هو فى صالح المساكين ، وأنفع لهم ، بقدر الامكان ، فى شـأن الكسـوة والاطعام .. « وأن تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون » .

وليس من شك فى أن مـراعاة العرف فيه الراحة للطرفين (المطعم والمطعم ..) ، وقد يكون فيـه الحل لمشكلة (نصـف الصـاع والصاع .. والمد ..) عند من لا يتعاملون بهما .. كما هو الشأن

فى اخراج زكاة الفطر نقودا وإباحة ذلك اذا ما كانت أنفع للفقير ..

ورحم الله من قال :

والعرف فى الشرع له اعتبار
لذا عليه الحكم قد يدار

وقد لفت نظرى شىء آخر — هو أن كفارة الصيام فى الظهار ، تتفق مع كفارة قتل مؤمن خطأ ، وكان من قوم بيننا وبينهم ميثاق ، وعجز القاتل عن تحرير رقبة — فانه يستبدل بها أن يصوم شهرين متتابعين .. وهو مدة الصيام فى الظهار .. فما السر فى هذا الاتفاق ؟ !

لعل من السر — والله أعلم — هو تشابه الجريمتين فى العدوان .

فكلتاهما جريمة قتل .. ففى الظهار قتل رجل لامرأته قتلا نفسيا ومعنويا ، وهى ما تزال على قيد الحياة .. وفى قتل مؤمن لمؤمن خطأ — قتل حسى فيه انهاء لحياة المقتول .. ثم ان القتل فى كلتا الحالتين — قد ارتكب عن حماقة وغفلة واشباع غريزة شهوة — ولم يحكم كل من القاتلين عقله وأناته وتثبته وحلمه وفطنته .. وهى أشكل بالمؤمنين المتسمين بحق الى الحق والايمان .. و « المؤمن كيس فطن » أى عاقل ذكى .

فالمظاهر من أجل شهوة طاغية استبدت به ، لم يقم لصاحبته وزنا ، ولم يرحم ضعفها ، ووفاءها ، واخلاصها وطول عشرتها وألقى بها فى الطريق وهى أم لأولاده الصغار .. وقاتل المؤمن خطأ أشبه بالمظاهر فى اندفاعه وحماقته وطيشه .

فكان الواجب ايقاظهما من نومهما وغفلتيهما ، واعطائهما دروسا فى الأناة والصبر والحلم والتثبيت ، وتربيتهما عن طريق الصيام وفيه هذه المعانى ، فوق ما فيه من تطهير النفوس وترقيق القلوب ، وترقية المشاعر .

ولعل فى هذا شيئا — ولو قليلا — عن سر صيام شهرين كاملين متتابعين — توبة ورحمة

ان ضمتهم اليه ضاعوا وان ضمتهم الى جاعوا .. ثم قالت : أشكو الى الله فاقتى ووجدى .. حين قال لها رسول الله : « ما عندى فى أمرك شىء .. أو حرمت عليه وان لم يذكر طلاقا » ولكن الله سمع لها ، وفرج غمها ، وغضبت السماء من أجلها ، وأنزل سبحانه آيات توبيخ للعرب ، وتهجين لعاداتهم فى الظهار ، وأنزل الحكم بالكفارة .. والحكم بالكفارة دليل ارتكاب الجناية .

وقانا الله شر ارتكاب الجنايات ، وعصمنا من الزلل والانحرافات .

اللهم آمين

عبد الحميد الفضالى

بن الله — فى كفارة القتل الخطأ ، وكفارة الظهار .

***

رحم الله المجادلة :

رحم الله خولة بنت ثعلبة ، امرأة أوس بن الصامت ، أخى عبادة بن الصامت ، (وشتان ما بين الأخوين ..) — حين قالت لرسول الله وهى تجادله فى أمر أوس زوجها الذى رآها تصلى — وكانت حسنة الجسم — فراودها ، فأبت ، فغضب ، وكان به لمة ولمم — فظاهر منها .. رحمها الله حين قالت لرسول الله فيما قالت : ان لى منه صبية صغارا

سيد الشهور

قال صلى الله عليه وسلم : « رمضان سيد الشهور ثم شهر الله المحرم ، ثم رجب ، ثم ذو القعدة ، ثم شعبان ثم باقى الشهور » .